مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
العـدد الخـــاص، مـارس 2026،
ص ص269- 300
Arts & Humanities Journal
Special Issue, March, 2026,
pp. 269-300

Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561

شعرية المفارقة في ديوان "للسكوت صوت" لشوق السويدي

الباحثة/ منى محمد الأسمري
باحثة بمرحلة الدكتوراه بتخصص الأدب
قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد
447801537@kku.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 25/ 1/ 2026م تاريخ قبوله للنشر: 1/ 2/ 2026م
موقع المجلة: https://taiz.edu.ye/tujr/index.php/ahs

شعرية المفارقة في ديوان "للسكوت صوت" لشوق السويدي

أ/ منى محمد الأسمري

باحثة بمرحلة الدكتوراه بتخصص الأدب

قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة شعرية المفارقة في ديوان (للسكوت صوت) للشاعرة شوق السويدي، مستندًا على منهج الشعرية بوصفه المنهج الأنسب لاستشفاف المفارقة في الديوان، وقد خلص هذا البحث إلى أن المفارقة الشعرية حملت أبعادًا فنية وجمالية جعلت اللغة أكثر مرونة وعمقًا، بجمعها دلالتين متناقضتين ظاهريًا، وهذا لخلق توتر دلالي أثرى النصوص الأدبية ومنحها بعدًا تأويليًا عميقا.

الكلمات المفتاحية: المفارقة، الشعرية، شوق السويدي، النقد المعاصر، التوظيف الإجرائي.

The Poetics of Irony in the Poetry Collection for Silence Has a Voice by Shawq Al-Suwaidi

Mona Mohammed Al-Asmari
PhD Researcher in Literature Academic

Abstract

This research aims to examine the poetics of irony in the poetry collection (*For Silence, There Is a Voice*) by the poet Shouq Al-Suwaidi, drawing on the poetics approach as the most suitable method for uncovering irony within the collection. The study concludes that poetic irony carries artistic and aesthetic dimensions that render language more flexible and profound by combining two seemingly contradictory meanings. This creates semantic tension that enriches the literary texts and grants them a deeper interpretive dimension.

Keywords: Irony, Poetics, Shawq Al-Suwaidi, Contemporary Criticism, Procedural Application.

المقدمة

تعد شعرية المفارقة من أبرز الظواهر الأدبية الفنية الجديرة بالبحث والدراسة، لما لها من دور فعال في إثراء الخطاب الشعري الحديث، وما فيها من دلالات متعددة، وتناقضات الأقوال والأفعال، وكسر التوتر الداخلي في النفس. ويأتي ديوان "للسكوت صوت" نموذجًا واضحًا للمفارقة الشعرية، حاملًا بين ثناياه رؤية تصويرية جمالية وبنائية تركيبية، في بناء لغوي سليم نحويًا متصادم دلاليًا، مما يفتح الأفق للمتلقي إلى العنوان أولًا ثم النصوص ثانيًا.

إن ازدواجية التجربة الشعورية في العنوان تكشف عن العلاقات القائمة على التضاد، وعن الصراع بين الرغبة في الإفصاح والعجز عن الكلام، وهي محاولة فنية تتجلى فيها محاولة الهروب من الواقع، واللجوء إلى كوامن النفس الداخلية ومحاولة مجابهة الأحداث بالسكوت عنها.

ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن بعض أنماط المفارقة في ديوان "للسكوت صوت"، وتحليل الآليات الفنية والدلالية، بدءًا من العنوان، ثم اختيار بعض الأبيات الشعرية التي تكثفت فيها التجربة الشعرية، ومحاولة الوصول إلى كشف تناقضات النصوص، وكيف جعلت من هذا التناقض بين الكلمات وسيلة للكشف عن عمق المعاناة الإنسانية "النفسية والشعورية".

هدف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح شعرية المفارقة في (ديوان للسكوت صوت)، والكشف عن تجليات المفارقة في التناقضات الاصطلاحية، وكان لابد أن نضع أمامنا سؤالاً هامًا لكشف أوجه المفارقة، وهو كيف استطاعت السويدي أن تجعل المفارقة واضحة من خلال التناقض في المصطلحات؟ وكيف استطاعت أن تبعث في القارئ محاولة فهم الاختلافات ومحاولة تفسيرها؟ وماهي القيمة الفنية والجمالية في هذا الديوان؟ وكيف بنى التوتر الصراع في الذات الشاعرة من خلال تعميق التجربة؟

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة عن المفارقة، ولعل من أقربها لدراستي:

- المفارقة وشعرية القصيدة العربية القديمة (همزية حسان بن ثابت أنموذجًا)، للباحثة سمر البقاعي، درست شعرية المفارقة في همزية حسان بن ثابت من ناحية تشكيل الحركة البائنة في القصيدة التي تشكل منها الإيقاع الداخلي للنص، وذلك عبر إحلال خاصية التوازن فيه، وهو توازن يقوم على مبدأ (التعارض الثنائي) بين العناصر، وقد شكلت المفارقة هنا أحد أهم المداخل في دراسة شعرية القصيدة العربية القديمة[1]. وقد جاءت قريبة من موضوع البحث، إذ يبحث في المفارقة بين الثنائيات المتعارضة والمتناقضة للمعاني المعروفة، وما فيها من إيقاع يجعل القارئ يقف متأملاً عندها.
- المفارقة في شعر علي الحازمي دراسة نقدية، محمد علي الحازمي، سلطت الدراسة الضوء على المفارقة في شعر علي الحازمي، على مستوى الأساليب، والصور البلاغية، ورصد الظاهرة واستقراء نماذجها، وتحليل دلالاتها من خلال وظيفة المفارقة في المعنى الشعري[2]. وهذه الدراسة قريبة من موضوع بحثي التي تركز على المعاني التي جعلتها السويدي خارجة عن العادة.
- ومن خلال البحث والاستقصاء لم أجد بحثًا يدرس المفارقة الشعرية في ديوان "للسكوت صوت"، ويأتي هذا البحث للتعرف على مفهوم الشعرية، وجوانب المفارقة التي تمثلت في جوانب هذا الديوان، وتوضيح الوظيفة الجمالية للمفارقة.

أهداف البحث:

- تناول الإطار النظري لمفهوم شعرية المفارقة.
- التعرف على ماهية المفارقة في الجانب الغربي والعربي.

---

1) المفارقة وشعرية القصيدة العربية القديمة (همزية حسان بن ثابت أنموذجًا)"، سمر محمد البقاعي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 25 (يونيو 2024م).

2) المفارقة في شعر علي النجمي، محمد علي النجمي، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة الملك خالد، جازان، العدد 62، 2026م.

- تتبع مظاهر شعرية المفارقة في الديوان؛ (المفارقة التركيبية، والمفارقة التصويرية، والمفارقة السردية).
- الكشف عن الوظيفة الجمالية، والوجودية، وصراع الذات للمفارقة في الديوان.

التساؤلات:

- ما الإطار النظري لمفهوم المفارقة في الشعر؟
- ما مفهوم المفارقة في الجانب النقد الغربي، والنقد العربي؟
- ما أبرز مظاهر المفارقة في ديوان للسكوت صوت؟
- ما الوظيفة الجمالية، والوجودية، وصراع الذات للمفارقة في ديوان للسكوت صوت؟

منهج البحث:

يسير البحث وفق منهج الشعرية، الذي يعتمد على استخلاص الشواهد الشعرية وتحليلها في ضوء المفاهيم النقدية المحددة (المفارقة التركيبية، والمفارقة التصويرية، والمفارقة السردية) لإظهار الوظائف الجمالية والدلالية في سياق التجربة الشعرية.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة تشتمل عناصر البحث ثم التمهيد وفيه التعريف بالشاعرة، والتعريف بمفهوم المفارقة، ومفهوم الشعرية، ثم جاء المبحث الأول عن المفارقة في النقد الغربي والمفارقة في النقد العربي، وجاء المبحث الثاني دراسة تطبيقية عن أنوع المفارقة في الديوان؛ المفارقة التركيبية، والمفارقة التصويرية (الصورة الشعرية)، والمفارقة السردية، وأما المبحث الثالث فهو جوهر البحث استخلصت فيه المفارقة الوجودية الشخصية، وأزمة الهوية، ودور التناقض في إثراء الدلالة وتعميق التجربة في الديوان، ثم الخاتمة والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

1-1 التعريف بالشاعرة

شوق السويدي، طالبة في كلية القانون بجامعة الإمارات، دخلت عالم القراءة وارتبطت بالكتاب منذ صغرها، وقبل أن تتجاوز السابعة عشرة أصدرت روايتها الأولى "استغفرتك ذنباً وتبت منك"، ثم أصدرت كتابها الثاني "للسكوت صوت"، والذي يضم نصوصاً شعرية، وهذه الإنجازات الكبيرة، تخفي وراءها تحديات أكبر، استطاعت أن تتخطاها بحبها للكتابة، وإلهام المبدعين والمتميزين، إذ كانت تجاربهم الناجحة محفزًا لها للاعتماد على نفسها.

"للسكوت صوت" نصوص شعرية باللغة العربية الفصحى، دعت فيها إلى التمرد على النفوس البائسة، واستدراجها إلى البهجة والسعادة، وتحفيزها للنجاح، ومنحها الأمل والإيمان[3].

وتعتمد السويدي على سمات أسلوبية في ديوانها، تقوم على توظيف المفارقة الشعرية عبر أدوات فنية تدمج المتناقضات، وأبرز هذه السمات هي تضاد اللفظ، ومفارقة المعنى، واستخدام الصور البيانية والبلاغية، وتكرار مفردات هادئة مقابل دلالات الضجيج، مما يخلق انزياحاً لغوياً يبرز التوتر بين الظاهر والباطن، نسجت بذلك بنية لغوية متوازنة لإظهار المفارقة، كالجمع بين نقيضين في جملة واحدة، وهذا ما جعلنا ننظر للديوان على أنه بيئة خصبة لكشف شعرية المفارقة ودراستها وتحليلها.

1-2 التعريف بالمفارقة

لغةً: وردت كلمة المفارقة في لسان العرب في "صورة فرق، الفرقُ: خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقاً وفرقه، وفارق الشيء مفارقةً وفراقاً: باينه، والاسم الفُرقة"[4]. فرَق بينهما أي: الشيئين، كما في الصحاح، رجلين كانا أو كلامين، ثم الفرق بين الشيئين سواءٌ كان

3) مقال: تربيت على روايات نجيب محفوظ"، شوق السويدي، صحيفة الخليج، ملحق شباب الخليج، 2019م، https://www.alkhaleej.ae/2019-03-12

4) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3 (1414هـ): 299-300.

بما يدركه البصر، أو بما تدركه البصيرة[5]. فالمعاجم العربية عرفت "فرق" بالتفريق بين شيئين، بين ما تشاهده العين، وما يدركه العقل، أي باجتماع الضدان في آن واحد لتتشكل ملامح المفارقة.

وللمفارقة مهمتان الأولى: جمالية؛ هدفها الإمتاع بما فيها من مفاجأة تحث القارئ على التأمل والتفكير، لاكتشاف العلامات المبهمة داخل النص الأدبي، والمهمة الثانية مهمة إصلاحية؛ تعيد التوازن في الحياة المبدع بالمتناقضات التي يقوم عليها العالم الخارجي، وكشفها للمتلقي عن طريق المفارقة[6].

1-3 التعريف بالشعرية

الشعرية "poetics"؛ هي منهج قار في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد أسس لها ياكبسون في كتابه قضايا الشعرية، بقوله: "إن الوظيفة الشعرية تُسقِط مبدأ التكافؤ من محور الاختيار إلى محور التركيب"[7] أي أنها تدور في فلك التركيب، وتكون جماليات الكلام في اختيار التركيب المتناسق الذي يعبر عن المعاني بطرق مختلفة، وقد جعل ياكبسون وظيفة الشعرية للغة هي التركيز على الرسالة ذاتها، حيث تتحول الرسالة الأدبية من وسيلة للتواصل إلى هدف.

واهتمت الشعرية بالخطاب الأدبي من خلال دراسة شعرية الأدب، وجعلته المحور الأساسي لها، إذ "أن الشعرية هي علم الأدب عامة وذلك لأنها تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي في كل من الشعر والنثر، وذلك لأن الحدود زئبقية بين الشعر والنثر"[8]. أي لا يوجد حدود واضحة بين الشعر والنثر لأنها تصب في مجال واحد وهو التركيز على شعرية الأدب.

---

5) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 1965–2001م: 279–280.

6) تجليات المفارقة في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى عصر الحداثة، حمزة الخلايفة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، 2019، ص164.

7) قضايا الشعرية: مقالات في اللسانيات والشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1988م ص 104.

8) مصطلحا الشعرية والأدبية في سياق المقارنية والعالمية، عيسى بريهمات، مجلة تقاليد، جامعة الأغواط (الجزائر)، العدد الثاني،2011، ص164.

عُنيت الشعرية بترجمات الخطاب في الأدب من خلال التركيز على جماليات النص، والأسلوب الفني والمؤثرات الجمالية، بهدف تحقيق دلالات جديدة في اللغة، وإضفاء قيمة عالية على الشكل، للمحافظة على الهوية الأدبية، والانزياحات الفنية المعتمدة حتى تصبح عناصر أساسية في بناء النص.

ومن هنا سننطلق في الحديث عن المفارقة في النقد الغربي، والنقد العربي، وأبعادها في الأدب وتعريفها عند أشهر العلماء والفلاسفة، وكيف تكون في النصوص الشعرية.

المبحث الأول:

1- 1 المفارقة في النقد الغربي

من أشهر الفلاسفة في العصر الحديث "شليجل" و"كيركجورد" وهما اللذان أرسيا مفهوم المفارقة في البلاغة والنقد الحديث. يقول "شليجل": إننا لن نصل للمفارقة إلا بعد أن تكون الأحداث والناس، بل الحياة بأسرها مدركة، وقابلة للتمثل بوصفها لعبة. فالمفارقة عنده متعارضات ومتناقضات لا يمكن جمعها في إطار الإدراك، فالمفارقة جوهر الحياة، وأما "زولجر" يقول: تفهم المفارقة على أنها الذاتية غير المسؤولة"، تجتمع فيها الأضداد والمتناقضات، والمفارقة تقع في صميم صنعة الفنان ومسئوليته[9]. وهذا هو الجانب المهم الذي اعتمد عليه البحث؛ حيث ننظر للمتعارض والمتناقض من المعاني الخارجة عن المألوف والخارجة عن حدود المتوقع التي تبينت لنا من خلال ديوان السويدي.

وأما الناقد الحديث كلينث بروكس دعا إلى أن تكون المفارقة وسيلة لفهم الشعر وتفسيره، إذ يعرفها بأنها "صياغة النقد الشكلي من خلال التأكيد على "الحياة الداخلية للقصيدة" وتدوين مبادئ القراءة الدقيقة "فالمفارقة هي اللغة المناسبة والحتمية للشعر"[10]. ويعد بروكس المفارقة "اصطلاح واسع الدلالة يعني عنده إدراك التنافر والغموض

9) المفارقة في شعر محمود الخفيف: دراسة فنية تحليلية، نبيل الرفاعي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، ع 17، ج 5، 2013م، 3828–3829.

10) المفارقة في شعر محمود الخفيف: دراسة فنية تحليلية، سابق، 3829.

والتوفيق بين المتناقضات"[11]. فالشعر يجب أن يتصف بالمفارقة من أجل الصمود أمام نظرة المتلقي، الذي يبحث عن الجمال الفني والعمق الأسلوبي، وما يخلقه هذا الفن المتناقض من بعث روح الدهشة، ومحاولة استكشاف أعماق الشخصية التي مرت بكل هذه التناقضات.

واختلفت أراء النقاد الغربيين حول مفهوم المفارقة، "يقول تومبسون: لا تكون مفارقة إلا عندما تكون أثرها مزيجاً من الألم والتسلية"، تجعل الكاتب يقف في مفترق الطرق بين التعبير عن الألم والإحساس بالتسلية. ويرى فلادشير "أن المفارقة الأولية تصدير آخر للمعنى يومئ إلى المعنى العكسي ومن أجل ذلك يترجم أو يحول إلى ضده فتقويم السلبيات مثلاً يلمع في ظاهره إلى الضد الإيجابي"[12]. وهذا هو جوهر المفارقة باعتبارها أداة بلاغية، فالمعنى الظاهري يظهر النقيض تمامًا.

2-1 المفارقة في النقد العربي

وأقرب تعريف لها عند سيزا قاسم "هي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، غالباً ما يكون مخالفاً للمعنى السطحي الظاهر، ومن جانب آخر نجد أن المفارقة اللفظية أعقد كثيراً من هذا التعريف، حيث إنها تحقق في مجموعة من المستويات، ويجتمع فيها أكثر من عنصر"[13]. وتعريفها كان أقرب إلى تعريف فلادشير للمفارقة فالمعاني عنده خفية تُظهرها التناقضات، إن اجتماع العناصر المختلفة داخل النص الواحد هو الذي ينقل النصوص لمستوى عالٍ يجعل القارئ يعيد النظر فيما يقرأ. وتعد نبيلة إبراهيم من أبرز النقاد الذي اهتموا بدراسة هذا المصطلح، إذ تُعرفها بأنها: "المفارقة تعبير لغوي بلاغي يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية" ... "تصدر عن ذهن متوقد

11) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1923-1990، ص 398-397.

12) المفارقة في شعر صالح الشرنوبي، يوسف محمد يوسف، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مجلد32، ع5، 2019م: 4296.

13) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، ع2، 1982م: 144.

ووعي شديد للذات بما حولها"[14]، ترتكز المفارقة على الجانب البلاغي، وما يحمل من علاقات ذهنية تدل على وعي الأديب بما يريد. "وأوجز محمد العبد عناصر المفارقة في وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد: المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر به، والمستوى الكامن الذي لم يعبر عنه، الذي يلح القارئ على اكتشافه ولا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بينهما، ولابد من وجود ضحية في المفارقة"[15]؛ فالمستوى الإبداعي في النصوص الأدبية من خلال التوتر الدلالي، ولا يدركها القارئ إلى عند كشف التناقض بين الظاهر والباطن.

فالمفارقة "هي أسلوب بلاغي عالي التقنية، أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين متضادتين، بين مفهوم عام شائع وآخر ذاتي فكري، وكلما اشتد التضاد بينهما برزت المفارقة، مما يضفي الوضوح والإيجاز والجمالية على النص الأدبي عامة والشعري خاصة من جهة، وما تؤديه من دلالات أو معان عدة من جهة أخرى شرط أن تستفز ذهن القارئ وتحفزه لتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود للشاعر"[16]. إن جمالية النص الشعري من خلال المعارضة هي التي تستفز القارئ لمحاولة سبر أغوار النصوص الشعرية.

وتأتي المفارقة على أنواع، منها: "المفارقة اللفظية": وهي تغيير في المعنى، أو تغيير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، ولابد من حدوث انقلاب في الدلالة من المعنى القريب في الجملة إلى المعنى البعيد المقصود. و"مفارقة الأحداث": هي انقلاب يحدث مع مرور الزمن، وتكون وراء الأحداث قوة خارقة، أو قدرية، أو ساخرة، أو مزاجية معادية، أو غير مبالية. و"المفارقة الدرامية" هي نسج شخصية جاهلة في نسيج العمل الأدبي، وتسير مع الفضاء السردي، وتتطور الأحداث وهي غير مدركة لجهلها، ولكن الجمهور يلاحظ هذه الشخصية. و"المفارقة التركيبية أو البنائية" هي التي

14) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، ع 3–4، 1987م: 132.

15) المفارقة البنائية في رسم شخصية ابن القارح في رسالة الغفران، محمود الحلحولي، مجلة العلوم العربية، الجامعة الهاشمية، المملكة الأردنية الهاشمية، ع39، 1437هـ:336.

16) المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، رقيق جمال، الجزائر، كتاب إلكتروني. https://shorturl.at/Qy0sf :61.

تقوم على الاعتماد المباشر على ألوان البلاغة وأنواعها من بديعٍ وبيانٍ ومعانٍ. فالمفارقة البنائية شبيهة بالمفارقة اللفظية من حيث إنها وسيلة من وسائل إظهار دلالتين: إحداهما ظاهرة والأخرى باطنة، إلا أن الاختلاف يكمن في أن البنائية توجب جهل المتكلم أو الشخصية الموظفة الذي يستلزم القارئ أو السامع[17].

ويأتي فيما بعد تطبيق لأنواع مختلفة من المفارقات في الديوان، من خلال اعتماده الشاعرة على الإزاحة الدلالية، والتوتر الجمالي، والتناقض التركيبي والمعنوي، مما خلق مكانًا خصبًا للمفارقة الشعرية.

المبحث الثاني

2-1 المفارقة التركيبية أو البنائية:

تُعتبر نوعًا مُهمًّا من أنواع المفارقة، وتتمثّل في قُدرة القارئ على تخيّل ما يريد الكاتب أو المؤلف الوصول إليه من معنى، وفي الوقت نفسه يكون البطل أو الرّاوي فيها غير مُدرك للمعنى؛ فالمفارقة البنائية هي التي تَتولّد منها المعاني المتعددة للنص، وتختلف حَسب فكر القارئ وثقافته ويتخيّل ما يقصده ويَرمي إليه الكاتب. والمفارقة البنائية تعتمد على معرفة مقصد المؤلف الساخر الذي هو من نصيب المستمع، ولكنه مجهول عند المتكلم، حيث يكون المتلقي على علم بالأحداث عكس الشخصية (المتكلم) التي تكون غير مُدركة لمجرى الأحداث، وهي قريبة الشّبه بالمفارقة اللفظية، وهي وسيلة من وسائل تَوكيد وظهور دلالتين ضديّتين إحداهما ظاهرة والأخرى باطنة. والاختلاف بينهما هو أن المتكلم في المفارقة اللفظية يكون على علم بالمعنى في النص، أما في المفارقة البنائية يكون المتكلم جاهلًا بمقصد النص والمعنى المراد إيصاله وتبليغه للقارئ[18].

17) المفارقة البنائية في رسم شخصية ابن القارح في رسالة الغفران، سابق:338.

18) المفارقة: المصطلح والمفاهيم، شريف عبيدي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 53، جامعة العربي التبسي، الجزائر: 97.

أولًا: مفارقة العنوان:

نشأت المفارقة التركيبية في التركيب اللغوي بدأً من العنوان (للسكوت صوت)، فهو جملة إسمية مركبة من جار ومجرور، حدث فيها تقديم وتأخير–لرغبة دلالية في نفس الكاتبة– فتشكل لنا تركيب بسيط في شكله عميق في بنيته، حمل تكثيفًا لغويًا أتاح للقارئ طرح الكثير من التأويلات والتأملات، مصحوبة بتساؤلات عما يحمل هذا التركيب من معاني عميقة، وقد تكون غريبة بعض الشيء، لأنها حملت مفارقة عجيبة بين الامتناع عن الكلام، والصوت المسموع، وهذا يناقض الطبيعة المألوفة عن السكوت، فتحول السكوت إلى خطاب مسموع مستمر لا يتوقف، له حضور ظاهر بكل تشكلاته، وبذلك يصبح هنالك دلالة رمزية عن المعاني المضمرة التي لم يكن لها القدرة عن البوح عنها.

تقدمت شبه جملة الجار والمجرور "للسكوت" على المبتدأ "صوت"؛ وفيه قلب للترتيب المعتاد عليه، حتى تلفت الانتباه، وتجعل من العنوان مفارقة بينة للقارئ تستدعيه للتأمل والتفكير فيما يحمله هذا العنوان من دلالات ومعاني، تخفي وراءها أنواع متعددة من الجروح التي ترهق الروح وتجعلها في حالة ثقل وألم مستمر، وكأنها تبين أن ما تخفيه النفس أكبر مما كتب على الورق، وبهذا العنوان تشكل للقارئ تجربتها العاطفية والشعورية التي تعاني من الانكسار.

فسكوتها يحمل بين طياته أنواع الخذلان، والألم، والفشل، والخوف، والقهر، وجميع حالات الانكسار، لكن السكوت أبلغ من أي كلمة في هذا الموقف، لثقله على النفس والكرامة، حتى أن الكلام يستطيع أن يوصل مشاعرها واحساسها المجروح والمخذول من أقرب الناس لها، فلم تجد مخرجًا إلا الصمت وما يحيل إليه من دلالات خفيه.

ثانيًا: في المتن

وقد تعتقد أن صمتي هو عجزٌ مني
لكنك لا تُبصر كم من ريحٍ حرّكها هذا الصمت[19]

أسندت إلى الصمت معنى العجز، وهو حكم ظاهري مألوف، ثم أسندت الصمت إلى الفعل والتأثير (كم من ريح حركها)، وهو نقيض العجز، قامت المفارقة على إسنادين

19) للسكوت صوت، شوق السويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون–دار ثقافة للنشر والتوزيع–، أبو ظبي، ط1، 2018م، ص13.

متعارضين للعنصر نفسه داخل تركيب واحد؛ فالمعنى الظاهر الذي يتشكل في التركيب الأول (الصمت– عجز)، ومعنى باطن ينقضه التركيب الثاني (الصمت– قوة فاعلة متحركة) فالصمت ليس عجزًا منها لكنه أشبه بالإعصار الذي تحدثه الرياح الشديدة وتقتلع كل ما يعترضها، فصمتها هو قوتها.

وقد تظن أن صمتي هو موافقة مني
لكنك لا تعلم
كم من رفض لم أطلق له لساني بعد[20]

أسندت إلى الصمت معنى الموافقة؛ وهي دلالة مألوفة عن الرضا والقبول، ثم جعلت الصمت نقيض الموافقة، فالمفارقة هنا من البناء المزدوج المتناقض الذي يُعطي للصمت دلالتين متعارضتين داخل سياق واحد. وهنا يغدو الصمت لغة بديلة، ويصبح الرفض الصامت أبلغ من الرفض المعلن. ويُظهر هذا البناء صراعًا داخليًا بين الرغبة في الإفصاح والقدرة على الكتمان، مما يمنح العبارة عمقًا نفسيًا وجماليًا. فالصمت في هذا السياق ليس خضوعًا ولا قبولًا، بل حضورًا مكثفًا للرفض، يضفي على العبارة توترًا دلاليًا يعكس قوة الذات المتكلمة لا ضعفها.

أمي، أنت كل حقيقة
في زمن تاهت فيه حقيقة الأشياء[21]

تصوير الأم بأنها كل شيء حقيقي في زمن تاهت فيه حقيقة الأشياء، فالأم تمثل كل الحقيقة، هي رمز للثبات والأمان النفسي والحب والاستقرار العاطفي، بينما العالم من حولها لا حقيقة فيه، رمز للفوضى، والشك، وغياب اليقين، والقيم، يجعلها تشعر بالتوجس الدائم والارتباك والاضطراب.

والقريبون.. القريبون جدًا
الذين كنا نظن أن لا حياة لهم دوننا
هم الآن أبعد مما نحن نتصور[22]

---

20) الديوان، ص14.
21) الديوان، ص40.
22) الديوان، ص43.

جاءت المفارقة في التضاد بين توقعاتنا وواقع الآخرين، بين المألوف والمتوقع، فالقريبون الذين كنا نظن أنهم أدنون منا ويشعرون بأفراحنا وأتراحنا، هم أبعد مما نتصور عنا، فالحقيقة معاكسة تمامًا للتصور المتعارف عليه، والتناقض بين توقعات الماضي وواقع الحاضر، بين الظن وبين الحقيقة الملموسة، بين البنية الزمنية والمعنوية، خلقت صدمة جعلت في الجملة مفارقة وتعبير شعوري، وتكونت عاطفة مكثفة فيها بعد نفسي وخيبة يظهران من خلال النص.

أنت قاتل نفسك ومهلكها

أنت مصلح حالك ومحسنها[23]

تقوم العبارة على تضاد داخل الذات الواحدة؛ "أنت" هو الفاعل في الطرفين: الهلاك والإصلاح، والجمع بين نقيضين في كيان واحد–ازدواجية الفاعل–يخلق توترًا دلاليًا، يعكس صراع الإنسان مع ذاته، فيكون مصدر سقوطه كما يكون في الوقت نفسه مصدر نجاته، والعبارة فيها رؤية فلسفية قائمة على أن الإنسان هو الفاعل الأول فيما يحدث لنفسه، والمفارقة قائمة على تعبير أدبي مكثف يقوم على التضاد في بنية الجملة، فالفاعل واحد في الجملتين (أنت)، لكن الأفعال المسندة إليه متناقضة بنيويًا: (قاتل/مهلك) و(مصلح/محسن)، فالخير والشر نابع من الذات الإنسانية، وهو مسؤول عن اختياراته في هذه الحياة.

2-2 المفارقة التصويرية:

تعرف المفارقة التصويرية بأنها: "تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض وقد يمتد هذا التناقض ليشمل القصيدة بأكملها ليس في جملة أو بيت كما في الطباق والمقابلة وإذن فهاتان الصورتان محسنان شكليان، والمفارقة التصويرية تختلف عن الطباق والمقابلة تمامًا سواء من ناحية بنائها الفني أو من ناحية الوظيفة الإيحائية، والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صورة فكرة تقوم افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف"[24].

23) الديوان، ص53

24) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م: 130.

وتأتي المفارقة التصويرية في شعر السويدي بداية من العنوان (للسكوت صوت)، حيث تقوم على الجمع بين عنصرين متناقضين في الأصل، حتى ينتج من هذا الجمع معنى جديد خارج الحدود اللغوية.

وحملت المفارقة تضاد واضح بين الكلمتين، فالسكوت في اللغة هو الامتناع عن الكلام، وكأنها تقول: السكوت أبلغ ردٍ في بعض المواقف الصعبة التي يمر بها الإنسان، في الحزن، والفراق، والانكسار، والأقدار المؤلمة، فهذه الآلام التي تشعر بها؛ هي التي تعبر عن نفسها في حال السكوت، فالصوت داخلي ناتج عن اختلاط المشاعر وتزاحمها داخل النفس.

تكررت مفردات الألم مثل:(نكره الأقدار ونرفضها، نبتئس، نذرف الدموع، نحزن، نعبس، إفلات الأمنيات، نتذمر، نصرخ، نضيق، نهزم، نفشل، نتوقف، نحبط، نغضب، خسارة، انزعاج، قلق، ألم، زعزعة، صراع). ومفردات الهروب من الواقع:(غادر، اهرب، اترك، امضِ، اختفِ، فُر، اختبأ، هجر، إنكار، انتزاع، تجاهل). ومفردات للتمرد على الألم والضعف، مثل:(خالف، لا تنصت، تمرد، كسر القيود، قاوم). ومفردات لتصالح النفس مع ما حولها مثل:(ابتسم، صالح، ربّت، خلّص، لا تسقط، سكّن، قاوم، ناضل، جاهد، اصمد، ابتهج، افرح).

ومهما اختلفت المفردات ومعانيها، إلا أنها تعبر عن ازدواجية الشعور، والتعبير عن مشاعرها المؤلمة، وإخفاؤها بالتناقضات والجمع بين الأضداد، وجعل القارئ يحاول فهم المقصود دون أن تصرح بذلك.

حتى الوعود يا أمي
تجردت من حقيقتها
اعترفت بأنها تكذب
<u>والسكوت</u>
<u>الذي نظن أنه صامت</u>
<u>بدا وكأنه رياح تجرفنا</u>
<u>والسكوت</u>

صار للسكوت صوت

صار للسكوت ضجيج لا يهدأ[25]

والسكوت الذي نظن أنه الهدوء والراحة؛ كأنه ريح شديدة تجرف كل شيء أمامها بخفية لا أحد يراها، وهذا تعبير عميق عن الضغط النفسي لأنه أمرٌ شديدٌ لا يُحتمل، لا يشعر به إلا صاحبه، وكأنه يزعزع كل الثوابت أمامه، يعصف بهدوء النفس وراحة البال.

ثم تكرر العنوان هنا لتأكيد التحول، "صار للسكوت صوت" تحول من حالة الهدوء إلى الحركة، صار له صوت لتأكيد ثبوت المعنى، وهذه الحركة واقعة في النفس، لا أحد يشعر بها سوا الشخص نفسه، فالسكوت حالة ضجيج لا يهدأ، واضطراب مستمر، وتوتر لا يتوقف.

وإن توقّف المطر

لا تتوقّف وسادتها عن البلل[26]

صورة تقوم على تعارض بين الواقع المألوف والمعنى الرمزي الناتج عنها، تتجلى في انفصال السبب الطبيعي عن أثره، إذ يتوقف المطر بوصفه باعثًا خارجيًا للبلل، بينما يستمر البلل بوصفه أثرًا نفسيًا داخليًا، يوحي للقارئ أن الألم داخلي ومستمر لا يتوقف حتى وإن توقف المسبب الخارجي.

كم ليلة بكيتك.. دون أن يسيل دمعي

كم ليلة جهرت بك دون أن أنطق[27]

هنا تمثلت المفارقة في البكاء دون سيلان الدموع، والجهر دون النطق، مفارقتان خارجتان عن المألوف، بينهما تضاد عميق حمل كل أنواع الضجيج داخل الذات، والحالة الشعورية التي لا تستطيع التعبير عنها إلا بكتم الأسى، فكيف يكون بكاءً بلا دموع! كيف يكون فعل طبيعي بلا تأثير! إلا إذا كان هناك أزمة تحول دون ذلك، وكيف يكون "الصوت المرتفع المسموع" بدون صوت! لعلها أرادت أن تصف بذلك شدة الألم،

25) الديوان، ص45.

26) الديوان، ص48.

27) الديوان، ص78.

وثقل الجروح المكبوتة التي لا تستطيع أن تبوح بها، فكأن روحها هي التي تصرخ، لكن اللسان يرفض البوح، ويرفض التعبير ويفضل الكتمان.

عيناك تغرق مدنًا

عيناك تحرق بلادًا

عيناك تهدم بيوتًا

عيناك تغلب جيوشًا

عيناك تنصر أقوامًا

عيناك تهزم حروبًا

عيناك تكسر قيودًا

عيناك استسلام مخزٍ

عيناك انقياد بلا مقاومة

عيناك شغب.. عصيان وتمرد[28]

نعرف أن العين أداة للنظر، والمفارقة أنها استخدمتها في حالتين متناقضتين القوة والضعف، التحرر والمقاومة، الضعف والخضوع، التمرد والرفض، (تغلب وتنصر) (تهزم وتكسر– استسلام انقياد) (استسلام– عصيان) (انهزام– تمرد). حيث أُسندت صفات متناقضة إلى فاعل واحد "العين"، نسبت لها أفعال القوة والتحرر، ثم تنسد لها دلالات الاستسلام والانقياد، قبل عودتها إلى عالم العصيان والتمرد، وتقوم المفارقة على تكرار البنية التركيبية التي تبرز التناقض الدلالي، والازدواجية الشعورية والصراع الداخلي، وتحول العين إلى رمز فيه الهيمنة والانكسار في آن واحد.

أجفلت مسرعا وشرعت أحلف أني لن أعاودهُ

وعدت إليه غدًا أبكي اشتياقي وفرقتهُ[29]..

تتجلى المفارقة في كلمة "أجفلت" وتعني فعل الهرب المصحوب بالخوف والاضطراب والهلع، و"عدت" تعني الرجوع والاستقرار والرغبة في القرب، والجمع هنا بين الفعلين أنتج لنا صورة متناقضة، جمعت بين الفرار والعودة، وهذا يعكس حالة نفسية

28) الديوان، ص62.

29) الديوان، ص97.

غير مستقرة، مضطربة، قلقة، ترغب في الرحيل والبقاء في آن واحد، كثفت عند المتلقي الإحساس بالصراع الداخلي الذي تعانيه الشاعرة.

أصبحت كالفاصل بين شيئين

بين الانتظار وبين الانسحاب[30]

تتجلى المفارقة هنا بين الانتظار والانسحاب، من خلال الجمع بين الحالتين النفسيتين المتناقضين، وفيها شتات بين الرغبة والتوجس والخوف، إذ عكست صراعًا داخليًا واضحًا وعميقًا؛ بين رغبة الانتظار والبقاء بوجود الأمل والتفاؤل، ورغبة الانسحاب، والبعد، والتخلي، والرحيل.

قدر عليّ

رغم دنوك يا بعيد[31]

الجمع بين القرب والبعد أنشأ هنا مفارقة تصويرية واضحة، فالتناقض هنا بين لفظة "دنوك" التي تعني قربك في المكان، وكلمة "يا بعيد" التي تدل على البعد والانفصال، والجمع بينهما يدل على حالة نفسية مضطربة ومتوترة، وعلى الرغم من وجوده قريبًا منها ربما بالمكان، إلى أنه بعيد عنها نفسياً لا يشعر بها.

أحاول الاقتراب، ولكني أفشل

أطلق صرخات بصوتٍ لا يسمع[32]

"الصرخات" تفترض الصوت العالي، و"صوت لا يسمع" ينفي الوظيفة الطبيعية للصراخ، وهنا يتبين لنا الصورة المتناقضة التي تجُسد حالة الألم المكبوتة داخل النفس، والصراع الداخلي الشديد، والعجز وعدم القدرة على البوح.

قال: "بل أنتِ كذلك

جرف أنتِ... منحدر شاهق!![33]

---

30) الديوان، ص99.

31) الديوان، ص103.

32) الديوان، ص106.

33) الديوان، ص124.

هبوط شديد وسريع يمثل الانهزام والهرب من الواقع، وارتفاع وعلو يرتبط بقوة الشخصية وثباتها في الصعاب، والجمع بين هاتين الدلالتين المتناقضتين أنشأ مفارقة واضحة، جسدت الحالة الشعورية المؤلمة التي تمر بها، فالعلو والانخفاض، والقوة والضعف، ونيل الأمنيات والانهزام، لا يجتمعان في آن واحد.

يحدث أحيانًا أن تصمت

على الرغم من الصرير الذي لا يصمت[34]

هنا جمعٌ بين فكرتين متناقضتين لإثارة الانتباه، بين حالة الهدوء والسكون والطمأنينة، والصوت الداخلي المزعج والمستمر الذي لا يهدأ ولا يتوقف، وكأنها أصواتاً شديدة تحرك أمواجاً من الألآم والصراع النفسي، وبالرغم من هذا الألم إلاأنها ترفض البوح والتعبير عما تحمله من عناء وتعب.

أمطرني نسيانًا لأنساه

أمطرني تجاهلًا لأتجاهله

أمطرني جذلًا لأجتذل

أمطرني ابتهاجًا لأبتهج

أمطرني فرحًا لأفرح

لا تمطرني حزنًا.. كفى

فإني اليوم.. حزين حزين حزين![35]

تجلت المفارقة هنا في الجمع بين النسيان، والتجاهل، حالة الركود العاطفي والمشاعر السلبية، ومحاولة الخلاص من الحالة النفسية المنهكة، وبين الابتهاج والفرح والسعادة والنشوة، المشاعر الإيجابية، كالأمل والتفاؤل والفرح، فعندما جمعت هذا التناقض أحدثت ازدواجية عجيبة؛ فكيف للنفس أن تجمع بين الحزن والسعادة في آن واحد! محاولة بذلك أن تصور أنها تحمل همومًا يصعب البوح بها، فعندما فضلت الصمت أصبحت وكأنها في هدوء وسعادة وهناء.

34) الديوان، ص146.

35) الديوان، ص164.

أن الأشياء لا تأتي بترقبها

إنما تأتي حين تهرب منها[36]

الترقب يمثل ضغط الرغبة التي تُفقد الشيء عفويته وحالة التوتر التي تمنع التحقق، والهروب أشبه بالاسترخاء النفسي والتصالح مع الواقع، وفك الارتباط القهري، فالمفارقة هنا تكشف أن التحرر من الرغبة يكون بالهرب منها، حيث عملت على قلب العلاقة الطبيعية والمألوفة، وصورت حالة معكوسة مما خلق تجربة شعورية مختلفة بينت عمق الألم في النفس.

2-3 المفارقة السردية (مفارقة الشخصية والحدث)

"تقوم على التناقض بين ما تُفكر به الشخصية وما تفعله، أو بعبارة أدق بين الوعي الفعلي والوعي الممكن للشخصية في شبكة العلاقات التي تنشأ بينها وبين الشخصيات الأخريات من جهة، والمتلقي من جهة أخرى"[37]. أي أنها تقوم على التناقض الظاهري، لزعزعة الزمن، وكشف حقائق عميقة، وإثارة وتشويق المتلقي، ومن أبرز أشكال المفارقة السردية، مفارقة الشخصية المرتبط بوعي الشخصية أو تصرفاتها، ومفارقة الحدث حينما تكون النتيجة الفعلية لموقف عكس المتوقع.

2-4 مفارقة الشخصية:

أنت قاتل نفسك ومهلكها

أنت مصلح حالك ومحسنها

بيدك وحدك مرضك

وبيدك وحدك دواؤك

والنتائج وحدك من سيتحمّلها[38]

يقوم هذا النص على خطاب مباشر للذات الإنسانية، يحمّلها المسؤولية الكاملة عن

36) الديوان، ص165.

37) المفارقات السردية في روايات غازي القصيبي، مقاربة سيميائية، أحمد عسيري، مجلة المهرة للعلوم الإنسانية، جامعة حضرموت، ع14، 1444هـ، ص112.

38) الديوان، ص54.

مصيرها، ويجعلها الفاعل في مسار الهلاك والخلاص معًا. فالذات ليست كيانًا منفعلاً بالأحداث، بل قوّة فاعلة تصنع أزماتها كما تصنع حلولها. في الجملتين؛ تُسند إلى الذات أفعال متناقضة: الإهلاك والإصلاح، فيكشف النص عن انقسام داخلي عميق، حيث تكون الشخصية سبب سقوطها بقدر ما تكون سبب نجاتها، ثم تأتي الجملة الثانية لتكثّف هذا المعنى؛ فالمرض والدواء كلاهما في يد الشخص نفسه، في إشارة إلى أن الألم النفسي، ليس مفروضًا من الخارج، كما أن التعافي ليس عشوائيًا، بل نتيجة اختيار، وفي الجملة الأخيرة (والنتائج وحدك من سيتحملها) تؤدي وظيفة حاسمة؛ إذ تُغلق النص بإسناد العاقبة كاملة إلى الذات.

وتتجلى المفارقة الشخصية في اجتماع الأدوار المتناقضة داخل ذات واحدة، (الشخصية/ سبب المرض، وهي صانعة الدواء) وهي (المتضرر الوحيد من العواقب)، وهذا التداخل بين موقع القوة وموقع الضعف هو جوهر المفارقة؛ إذ تُقدَّم الشخصية بوصفها مصدر الخلل ومصدر العلاج في الوقت نفسه.

وتتعمّق المفارقة في عبارة "بيدك وحدك"، التي تُكثّف الإحساس بالمسؤولية، وتؤكد أن الحل يكون من داخل الذات، لا خارجها.

حيثه وجّهت وجهي، حيثه سلّمت قلبي
ثم أدركت بأنها غُلبت مناضلتي.
مضيتُ.. انصرفتُ ثم أتيتُ
تفرّقتُ في كل اتجاهات الأرض
قطعتُ أميال الأميال
وعدتُ إلى حيث ما قطعت![39]

يقوم النص على مفارقة شخصية، تتجلّى في صراع الذات؛ الشخصية هنا مناضلة ثم مغلوبة، ترغب في الرحيل، لكنها عاجزة عن الانفصال، تختار المضيّ، ثم تعود إلى النقطة نفسها، جمعت الشخصية الواحدة أفعالًا متناقضة ("المقاومة/الاستسلام"، "الرحيل/العودة"، "التفرّق/العودة")، فهي تمارس الفعل ونقيضه، دون أن ينقسم الصوت أو يتغير المتكلم.

39) الديوان، ص36.

2-5 مفارقة الحدث:

تحدث هذه المفارقة من التعارض في بناء الأحداث مع بعضها داخل العمل الأدبي، "فهي تأتي من إغراق الضحية بمخاوف معينة أو آمال أو توقعات بحيث يتصرف على أساسها، ويتخذ خطوات ليتجنب شراً متوقعاً، تؤدي إلى سقوطه المحتوم"[40]، بحيث يؤدي الحدث إلى نتيجة عكسية لما كان منتظراً، وتبرز وجه التضاد بين الواقع والمظهر، ويحدث التعارض في بناء الأحداث صدى عميق لدى القارئ في محاولة منه لكشف الخفايا التي تكمن تحت ستار النص.

نكره الأقدار أحيانًا
وأحيانًا تحرق الدموع خدودنا
نكرهها لأننا بشر
نبتئس أحيانًا
وأحيانًا نذرف الدموع
كنا نتمنى أن تكون من نصيبنا[41]
فلا تكون

الرغبة والتمني، ثنائية تُنشئ أفق انتظار بتحقق الأمل، لكن النتيجة الفعلية "فلا تكون" هنا تكمن مفارقة الحدث؛ التي تقوم على بناء توقع ثم تقديم نتيجة مناقضة له دون أن تكون مستحيلة منطقيًا، وهذا متحقق بوضوح في عدم تحقق الرغبة، والأمل الذي يقود إلى خيبة، والتمني المنتهي بالحرمان، فالحدث لم يتحقق وفق منطق الرغبة، بل وفق منطق القدر.

ثم تقول:

نكره الأقدار
تحرق الدموع خدودنا

الكراهية فعل مقاومة ورفض، والدموع انفعال مع خضوع، هنا نقلت الذات الحدث من الفاعلية إلى الانكسار، بنى النص توترًا صاعدًا عبر التمني، ثم يكسره بجملة قصيرة

40) المفارقة وصفاتها، د. سي. ميويك، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، 1987م، ص79
41) الديوان، ص21.

حاسمة فيها نفي قاطع "فلا تكون"، وهذه الجملة هي مركز المفارقة، لأنها تمثل انقلابًا مفاجئًا في مسار الحدث، والمفارقة الكبرى في هذا النص أن الإنسان يبني أمله وأمنياته ورغباته بوعي منطقي يتناسب مع ما يريد، لكن الواقع أو الأقدار تهدم هذه الأمنيات بكل بهدوء. وبذلك تتشكل مفارقة الحدث هنا وقوامها تعارض الرغبة الإنسانية مع ما يتحقق في الواقع، حيث يتحول الأمل إلى خيبة ضمن مسار سردي قصير مكثف.

المبحث الثالث: الوظيفة الوجودية للمفارقة: صراع الذات وبناء الرؤية الشعرية

3-1 المفارقة الشخصية: جدلية القاتل والمُصلح في الذات الشاعرة

أنت قاتل نفسك ومهلكها

أنت مصلح حالك ومحسنها

إن مفهوم جدلية القاتل والمُصلِح في الذات الشاعرة هنا ثنائية دلالية وجودية متعارضة تكشف انقسام الذات وتوترها الداخلي؛ إذ قامت على وجود قطبين متعارضين تولّد المعنى من صراعهما، وهي تنتمي إلى الثنائيات الوجودية الأخلاقية التي تعبّر عن صراع الخير والشر داخل الذات الإنسانية.

وتعبر الدلالة الوجودية لهذه الثنائية معانٍ مختلفة "فالقتل" هنا لا يدل على نهاية الحياة، لا تدل على القتل وسفك الدم، بل تحمل دلالات رمزية متعددة، منها: قتل الأحلام والأماني، قتل الروح، تدمير الذاكرة، وبمعنى أدق اغتيال الهوية، والاغتراب، والألم، والقلق، مثلته كالقوة المتسلطة التي تهدد وجود الذات.

"والمُصلِح" تحمل دلالة البناء، بدلالة إيجابية، مثل: الإصلاح النفسي والروحي، إعادة التوازن للذات، شفاء الجراح، استعادة المعنى والأمل، وترميم العلاقة مع العالم وإثبات القوة، ورغبة الوجود والبقاء.

والجدلية هنا ليست مجرد تناقض لغوي، بل حركة صراع داخل الذات الشاعرة حيث جمعت بين –القاتل– سبب الألم والخراب والتدمير، و–المصلح– سبب البقاء والنجاة، في آن واحد.

وتكشف هذه الثنائية عن انشطار الذات الشاعرة إلى: ذاتٍ ضحية، وأخرى تبحث عن

الأمل. وهي صورة من صور الوعي المأساوي الحديث في الشعر المعاصر، حيث يكون الآخر كائنًا جدليًا متناقضًا مطلقاً للشر أو مطلقاً للخير، وتمثل هذه الثنائية تعبير عن صراع الغرائز الإنسانية داخل الذات.

ثم إن استخدام ضمير المخاطب "أنت" في السياق يوحي بأن الصراع موجه إلى الآخر، لكنه في العمق انعكاس لصراع داخلي يمكن أن نعبر عنها بأنها مرايا الذات، فالشخص إما أن يكون سبباً للهلاك أو سبباً للنجاة، وهذا يخلق توترًا شعريًا وإدهاشًا جمالياً.

تقوم ثنائية «القاتل/ المُصلِح» على جدلية دلالية تعكس انقسام الذات الشاعرة بين قوتي الهدم والبناء، حيث يتحول الآخر إلى كيان مزدوج يجمع بين التدمير والإنقاذ. وتمثل هذه الثنائية صراع داخلي بين غريزتي الموت والحياة، وتنهض بوصفها بنية مفارقة تنتج دلالتها من التوتر بين القطبين المتعارضين. كما تُسهم هذه الثنائية في تفكيك الصورة التقليدية للآخر، لتقدمه بوصفه كيانًا جدليًا مركّبًا، يعكس اغتراب الذات الشاعرة وتذبذبها الوجودي.

2-3 المفارقة الوجودية وأزمة الهوية والزمن المعاصر

صخب العالم في صدري
ولكني حتى الآن لم أفصح
وحدي أنعصر بهذه الجلبة
إني أختنق باختلاط الأصوات
بصخب الشارع بتلاطم الأمواج
بتراكم الكلمات وبزحمة العبارات[42]

العالم الخارجي ينتقل إلى داخلها بما فيه من صخب، لكن المفارقة أنه فضاءً للاختناق ليس للوعي، فالعالم الذي يُفترض أن يُفهم ويُستوعب، يتحوّل إلى عبء داخلي خانق. إن امتلاء الذات بالأصوات والكلمات يفترض الإفصاح، لكنها اختارت أن تصمت، وكأن اللغة عاجزة عن إيجاد ما يصف هذا الصخب، فكثرة الكلمات تؤدي إلى العجز.

42) الديوان، ص13.

وعلى أنها موجودة في هذا العالم الجمعي، إلا أن ألمها فردي، لا يشعر به غيرها، وهي بهذا تبين أنها وحيدة وجوديًا، وهذا يعكس غربة الذات وسط الجماعة.

ثم إن الصوت والكلمات والعبارات وسائل تواصل، لكنها تزاحمت داخلها حتى اختنقت منها، وسببت ضغط نفسي كان سببًا للاغتراب، فقد تحول الخطاب من أداة تواصل إلى عبء على النفس ليس له هوية أو معنى، يصب في شعور وجودي بالضيق والوحشة، عاجزٌ عن الإفصاح بحرية، وهذا اغتراب الذات بين الخارج والداخل، بين الرغبة في التعبير واستحالة الإفصاح، فتقوم المفارقة الوجودية في هنا على توتر الذات بين الصخب الداخلي والعجز عن الكلام للعالم الخارجي.

لا أذكر أني
كنت على حافة الفراق ولوعته في يوم
لأني في كل مرة
كنت على وشك أن أضع نفسي في هذا المأزق
لا أنجح في الانسحاب منه فقط
إنما كنت أنتشل نفسي
ولا أترك في حياة أحدهم أثرًا[43]

هنا سرد نفسي ذاتي متوتراً للغاية بين الذات والعاطفة، إذ قامت المفارقة على تناقض بين الدخول في المأزق العاطفي ومحاولة النجاة منه، وبين الانسحاب والفكرة العكسية للانتشال، وبين الحضور والاختفاء.

الفراق والغياب الشعوري حدث مؤلم، لكن ذاتها تنكره، ولا ترى له أثرًا في الذاكرة، وهذا يستحيل فالذاكرة لا تستطيع نسيان الألم أو تجاهله، ثم صورت الوقوع في المأزق والنجاة الذاتية منه بقولها:

"كنت على وشك أن أضع نفسي في هذا المأزق"

الانسحاب فعل إرادي هادئ، أما الانتشال فهو إنقاذ قسري من خطر متوقع حدوثه، فالذات هنا لا تنسحب بهدوء، بل تنقذ نفسها من نفسها بالقوة الجبرية، فتصبح الذات المنقِذ

43) الديوان، ص16.

والمنقَذ في آن واحد. وتحاول ألا تترك في حياة أحدهم أثراً، فذاتها تمحو نفسها قبل أن تترك أثرًا، فالعلاقة بلا ذاكرة، والحضور بلا أثر، مفارقة وجودية قوية حول انعدام العاطفة، ربما خوفاً من التعلق، أو الاقصاء العاطفي، أو رغبة جامحة في الانسحاب الوجودي من الآخرين.

3-3 دور التناقض في إثراء الدلالة وتعميق التجربة "المفارقة والجمالية الشعرية"

تُعدّ المفارقة من أبرز التقنيات الأسلوبية التي يعتمد عليها الشعر الحديث في بناء جمالياته التعبيرية، إذ تقوم على إقامة علاقة تناقض بين عنصرين دلاليين متنافرين، غير أن اجتماعهما داخل البنية الشعرية يولّد أفقًا دلاليًا أعمق وأكثر كثافة. فالمفارقة لا تكتفي بإحداث التناقض، بل تعمل على تحويله إلى طاقة جمالية ومعرفية تُثري النص وتفتح أمام المتلقي إمكانات متعددة للتأويل.

تنشأ جمالية المفارقة في الخطاب الشعري من قدرتها على كسر أفق التوقع لدى المتلقي؛ إذ يتوقع القارئ انسجامًا منطقيًا بين الألفاظ والمعاني، إلا أن المفارقة تقدّم تركيبًا يقوم على الجمع بين المتضادات، مما يخلق حالة من الإدهاش الجمالي؛ يؤدي إلى تنشيط عملية التلقي، لأن المتلقي يجد نفسه مدفوعًا إلى البحث عن المعنى الكامن وراء هذا التناقض الظاهر، حيث تتحول اللغة من مجرد أداة وصف إلى وسيلة للكشف عن تعقيدات التجربة الإنسانية.

إن التناقض الذي تقوم عليه المفارقة تعتبر آلية فنية لتوليد المعنى وتكثيفه، ويسهم في خلق طبقات دلالية متعددة داخل النص الشعري، مما يفتح المجال أمام قراءة تتجاوز المعنى السطحي إلى المعنى العميق، فحين يجمع الشاعر بين دلالتين متعارضتين، فإنه يدفع القارئ إلى إعادة التفكير في العلاقة بينهما، ومن خلال هذا التفاعل تتحقق كثافة دلالية تجعل النص قادرًا على حمل أكثر من معنى في الوقت نفسه، وهو ما يمنح الخطاب الشعري طابعًا إيحائيًا يميّزه عن اللغة العادية.

لا يقتصر دور المفارقة على إثراء الدلالة فحسب، بل يمتد إلى تعميق التجربة الشعورية التي ينقلها النص، فالشاعر حين يلجأ إلى المفارقة يحاول التعبير عن تعقيد التجربة الوجدانية الإنسانية، والتوتر الداخلي للذات وصراعها مع الواقع، التي لا يمكن

اختزالها في معنى أو شعور واحد. فالحياة، كما يعكسها الشعر، تقوم غالبًا على تداخل المتناقضات: الفرح والحزن، الأمل واليأس، الحضور والغياب.

تُحدث المفارقة أثرًا جماليًا واضحًا في عملية التلقي، لأنها تدفع القارئ إلى المشاركة في إنتاج المعنى. فعندما يواجه المتلقي تركيبًا مفارقًا، فإنه يسعى إلى تفسير العلاقة بين طرفيه المتناقضين، وبذلك يصبح شريكًا في بناء الدلالة. وهذا التفاعل بين النص والمتلقي يمنح التجربة الشعرية طابعًا ديناميكيًا، حيث لا يظل المعنى ثابتًا، بل يتجدد مع كل قراءة.

كما تسهم المفارقة في إضفاء بعد تأملي على النص، إذ تدفع المتلقي إلى التفكير في التناقضات التي تحكم التجربة الإنسانية، ويتضح من ذلك أن المفارقة تمثل عنصرًا جماليًا أساسيًا في الخطاب الشعري، لأنها تقوم على توظيف التناقض بوصفه أداة لإنتاج الدلالة وتعميق التجربة الإنسانية. فهي لا تكتفي بإحداث المفاجأة، بل تسهم في بناء رؤية شعرية قادرة على استيعاب تعقيدات الواقع والذات، ومن خلال هذا التوتر بين الأضداد يتشكل المعنى الشعري في صورته الأكثر كثافة وعمقًا، مما يجعل المفارقة إحدى أهم الآليات الفنية التي تثري النص الشعري وتمنحه طاقته الجمالية والدلالية.

الخاتمة

بعد تحليل الإطار النظري والتطبيقي للنصوص الشعرية في ديوان للسكوت صوت للشاعرة شوق السويدي، تظهر نتائج البحث بوضوح فيما يخص حضور شعرية المفارقة وتعدد مظاهرها وأثرها في البنية الجمالية والدلالية. تعكس هذه النتائج العلاقة الوثيقة بين المفارقة كظاهرة أسلوبية وبين التجربة الشعورية للشاعرة، كما توضح كيف أبرزت التوتر النفسي والوجودي، وقدمت تجربة شعرية غنية بالدلالات المتشابكة بين التناقض والتكامل. بناء على ذلك، تتضح في النتائج أبعاد المفارقة المختلفة من تركيبية وتصويرية وسردية، وما لها من وظائف جمالية ووجودية وصراعية في الديوان.

أولًا: نتائج البحث

- تبيّن من خلال الإطار النظري أن المفارقة تُعد من أبرز التقنيات الأسلوبية في الشعر الحديث، إذ تقوم على الجمع بين دلالتين متناقضتين ظاهريًا، بما يخلق توترًا دلاليًا يثري النص ويمنحه بعدًا تأويليًا عميقًا.
- أظهر البحث أن مفهوم المفارقة في النقد الغربي قد تبلور بوصفه آلية فنية للكشف عن التناقض بين الظاهر والباطن، وقد تناوله عدد من النقاد بوصفه عنصرًا مهمًا في بناء الخطاب الأدبي، في حين تناول النقد العربي المفارقة بوصفها ظاهرة بلاغية وجمالية تتقاطع مع بعض الأساليب البلاغية التقليدية، لكنها تتجاوزها من حيث العمق الدلالي والوظيفة الفنية.
- كشفت الدراسة التطبيقية للديوان عن حضور واضح لشعرية المفارقة في بنية النصوص الشعرية، حيث تجلت في عدة مستويات، أبرزها:

– ظهرت المفارقة التركيبية في التراكيب اللغوية المتقابلة والمتناقضة داخل الجملة الشعرية.

– نشأت المفارقة التصويرية على بناء صور شعرية تجمع بين عناصر متضادة ومتنافرة دلاليًا.

– جاءت المفارقة السردية ذات طابع تأملي، حيث يتولد المعنى من التناقض بين مجرى الأحداث أو بين التوقع والنتيجة.

- أظهر البحث أن عنوان الديوان (للسكوت صوت) يمثل في ذاته مفارقة دلالية مكثفة، تعكس جوهر التجربة الشعرية في الديوان، إذ يجمع بين عنصرين متناقضين، بما يفتح المجال لتأويلات متعددة حول طبيعة الشعر والوجود الإنساني.
- أسهمت المفارقة في الديوان في بناء البعد الجمالي للنص، إذ أضفت على التجربة الشعرية طابعًا من الدهشة والإيحاء، ووسّعت أفق التأويل لدى المتلقي.
- كشفت المفارقة عن بعد وجودي واضح في التجربة الشعرية، إذ عبّرت عن القلق الإنساني والتوتر الداخلي، وعن تجسيد صراع الذات مع الواقع، وصراعها مع الآخر، وصراعها مع الوجود، حيث تحولت إلى أداة للتعبير عن التناقضات النفسية والوجدانية التي تعيشها الذات.

ثانيًا: توصيات البحث

– الاهتمام بدراسة المفارقة بوصفها ظاهرة أسلوبية ودلالية في الشعر العربي الحديث، لما لها من دور في تعميق التجربة الشعرية وإثراء الخطاب الأدبي.

– الاهتمام بدراسة العناوين الشعرية بوصفها مدخلًا دلاليًا مهمًا لفهم النص، لما تحمله من طاقة إيحائية ومفارقات دلالية تسهم في توجيه قراءة المتلقي.

– إجراء دراسات مقارنة عن مظاهر المفارقة في الشعر العربي الحديث، للكشف عن أوجه التأثير والتقاطع مع الدراسات الغربية.

– تطبيق مناهج نقدية حديثة مثل السيميائيات، ونظرية التلقي، وتحليل الخطاب في دراسة المفارقة الشعرية، لما توفره من أدوات تحليلية تكشف أبعادًا جديدة للنص.

– تشجيع الدراسات التطبيقية التي تدرس المفارقة مع الظواهر الأسلوبية الأخرى في الشعر؛ مثل الصورة الشعرية والانزياح الدلالي، لإبراز تفاعلها في تشكيل البنية الجمالية للنص.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

– للسكوت صوت، شوق السويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون–دار ثقافة للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2018م.

المراجع:

– تجليات المفارقة في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى عصر الحداثة، حمزة أحمد الخلايفة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، 2019م.

– تربيت على روايات نجيب محفوظ، شوق السويدي، صحيفة الخليج–ملحق شباب الخليج، 2019م.

– المفارقة: المصطلح والمفاهيم، شريف عبيدي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، الجزائر.

– مصطلحا الشعرية والأدبية في سياق المقارنية والعالمية، عيسى بريهمات، مجلة تقاليد، جامعة الأغواط، الجزائر، 2011م.

– المفارقة وشعرية القصيدة العربية القديمة (همزية حسان بن ثابت أنموذجًا)، سمر محمد البقاعي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2024م.

– المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، 1982م.

– المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، رقيق جمال، الجزائر، كتاب إلكتروني.

– قضايا الشعرية: مقالات في اللسانيات والشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988م.

– مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

– المفارقة البنائية في رسم شخصية ابن القارح في رسالة الغفران، محمود الحلحولي، مجلة العلوم العربية، الجامعة الهاشمية، الأردن، 1437هـ.

– المفارقة في شعر علي النجمي، محمد علي النجمي، المجلة العلمية بكلية الآداب، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، جازان، 2026م.

– لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

– تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965–2001م.
– المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، 1987م.
– المفارقة في شعر محمود الخفيف: دراسة فنية تحليلية، نبيل أحمد رفاعي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، 2013م.
– عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م.
– المفارقة وصفاتها، سي. ميويك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، 1987م.
– المفارقات السردية في روايات غازي القصيبي: مقاربة سيميائية، أحمد عسيري، مجلة المهرة للعلوم الإنسانية، جامعة حضرموت، ع14، 1444هـ.
– المفارقة في شعر صالح الشرنوبي، يوسف محمد يوسف، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مجلد32، ع5، 2019م.